مفهوم القصص القرآني وغاياته لدى المفسر "محمد عزة دروزة"

أ. د. حسن عبد الرحمن سلوادي*

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٠/٥/١٧م تاريخ قبول البحث: ٢٠١١/١٠/٢٧م

ملخص

يشتمل البحث على تحليل نقدي لمجمل الآراء التي عرضها المفسر محمد عزة دروزة[١] حول القصص القرآني من جهة منطوقه وغاياته، فعرض- بداية لطريقته في تفسير آيات القصص ومعالجته لها، ثم بين رأيه في أهدافها، والغاية التي سيقت من أجلها، كما ناقش الفكرة التي ألح عليها دروزة، وهي أن القصص القرآني لم يكن غريباً عن أذهان السامعين، بل كان معروفاً ومتداولاً في بيئة العرب الجاهليين، سواء أكانت تلك المعارف أو المرويات من الحقائق الثابتة أم من الأساطير، وقد بيَّن الباحث مخاطر الترويج لهذه الفكرة التي استغلها العديد من المستشرقين والمبشرين للطعن في صحة النص القرآني والتشكيك فيه.

Abstract

This research includes a critical analysis of the Muffassir: Muhammad Izzat Darwazah opinions on the content and the objectives of the Quranic stories. Mr. Drawazah, first, stated his method in approaching the narrative Quranic verses and the way he handles them; then he illustrated the objectives behind using the Quranic narrative verses, in addition he reiterated the idea that the Quranic narratives were not alien to the pre- Islamic Arabs, on the contrary, he said the style was well Known to them, because it included, mythical narration’s and pieces of knowledge known to pre- Islamic Arabs.

My research explains the danger behind adopting such a stand. The researcher believes that the orientalists and the missionaries took advantage of this position to spread skepticism on the Quranic text.

مقدمة:

الجانب القصصي في القرآن الكريم من أكثر الجوانب التي استحوذت على اهتمام الدارسين والباحثين، فهذا الجانب له أهمية خاصة بين آيات الذكر الحكيم؛ لأنه يحقق أهداف دعوة الإسلام من حفاظ على العقيدة، ورعاية لها، كما أن فيه رعاية لناحية الخلق الذي يتفاضل فيه البشر، ولذلك عني بالتأليف فيه كثرة من أجلّة العلماء متقدمين ومتأخرين، حيث دبَّجوا فيه المقالات، وحرروا الرسائل والمؤلفات. وطبيعي أن تتراوح في صدد تلك القصص وجهات النظر، وتتفاوت الآراء، وينقسم الباحثون حيالها بين مغالٍ يلجأ في تفسيرها إلى منهج تأويلي، قد ينأى بالنص عن مدلولاته ومراميه الحقيقية، ومعتدل قاصد يلتزم في شرحها قواعد الشرع، ومنطق اللغة، وإجماع أهل العلم.

وقد كان محمد عزة دروزة من بين الذين خاضوا في هذه المسألة، وأوسعوها بحثاً ودراسة، ومن ثم خرج علينا بآراء واستنتاجات مهمة تستوجب الوقوف عندها وقفة متأنية لمناقشتها وتقويمها، من حيث بعدها أو قربها من ظاهر النص وسياق المعنى، والمأثور من أقوال الصحابة والتابعين. وهنا تكمن المشكلة التي ينبغي على الباحث معالجتها والتصدي لها في هذا البحث، فالآراء التي بثَّها دروزة في تفسيره الذي أطلق عليه (التفسير الحديث)، وأعده ونشره -كما قال- خصيصاً للناشئة، تضمنت عكس ما أراد صاحبها إشارات ملبسة، وتأويلات وافتراضات غير دقيقة، ربما يستغلها بعض المستشرقين لدعم أطروحاتهم بعدم أصالة الشريعة الإسلامية، وكونها – حسب مزاعمهم- منتخبة أو مستقاه في مجملها من المصادر اليهودية والنصرانية، إضافة إلى مباينة ما ورد في مصدرها الأول، وهو القرآن الكريم للوقائع التاريخية

* أستاذ، عميد البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة القدس المفتوحة.

الثابتة والأحداث المجمع على صحتها، ولعل من الخطورة بمكان السكوت أو التغاضي عن مثل هذه الآراء؛ لأن السكوت عنها، ولا سيما بعدما نشرت وأذيعت، إنما يعني قبولها والإقرار بها.

وتحدَّدت في ضوء هذه المشكلة أسئلة عديدة تتعلق بمصدر تلك القصص وغاياتها، فهل هي مجرد وسائل تدعيمية غايتها -كما قال دروزة- العظة والاعتبار والتأثير والإقناع لاغير، بغض النظر عن كونها صحيحة أو غير صحيحة في ذاتها؟ وهل ما ورد فيها من تفصيلات يتناغم أو يتطابق مع ما هو مألوف ومتداول في بيئة العرب؟ وما جدوى التركيز على مثل هذه القضايا، والإصرار على أن القصص القرآني يتسق في مجمله مع ما ورد بصددها في الكتب السماوية السابقة للقرآن الكريم؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها،فقد استخدمتُ المنهج الاستقرائي التحليلي في هذه الدراسة التي جاءت في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، حاولت من خلالها الكشف عن الطريقة التي اتبعها دروزة في تناوله للقصص القرآني، وعرضت نماذج من فهمه لتلك القصص، ثم عرضت بعد ذلك مجملاً لآرائه في القصة القرآنية، موازناً بآراء غيره من العلماء والباحثين. وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول
طريقة دروزة في عرض القصص القرآني

استخدم دروزة في عرضه لآيات القصص القرآني، وتفسيره لها عبارات وصيغاً متعددة أهمها: أنه يورد ما يتعلق بالقصة من روايات، ينص في بعضها على أنها مرفوعة، ويسند بعضها الآخر إلى رواتها من الصحابة والتابعين، أو ينسبها إلى المفسرين عامة، ومن عباراته المألوفة في ذلك: "وروى المفسرون"، أو "قال المفسرون"، وربما حكم على بعض هذه الروايات بأنها محل إجماع الرواة، مثل ما أورده في قصة أصحاب الفيل من الأحداث والوقائع، وما دعا إليها من الأسباب[٢].

على أن هذا لم يمنع دروزة من تصنيف هذه الروايات، وترجيح إحداها مستأنساً في ذلك بالوقائع التاريخية، كترجيحه لرواية كون أصحاب الأخدود هم نصارى نجران، اعتماداً على ما قرره التاريخ من اضطهاد الملك الحميري ذي نواس للنصارى بعد تهوُّده، وغزو الأحباش لليمن بسبب ذلك[٣]. أو بالاعتماد على منطق اللغة، ومجازاتها، وأساليبها المألوفة، كما ظهر في ترجيحه لرأي مجاهد، الذي وصفه بأنه مفسر تابعي عظيم، بخصوص حادث السبت، وماهية المسخ الذي تشير إليه الآية: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[الأعراف: ١٦٦]. قال دروزة في تعليقه على الآية: "ولقد تعددت أقوال المفسرين في ماهية المسخ، فمنهم من قال: إنه وقع فعلا، ومنهم من قال: إن التعبير مجازي يقصد به وصف ما كان من سخط الله عليهم، وما وصلوا إليه من انحطاط في الأخلاق والضمائر، ونقل بعضهم عن مجاهد -وهو مفسر تابعي عظيم- أنه قال: "إنهم لم تمسخ صورهم،وإنما قلوبهم، فمثلوا بالقرود"[٤]، ثم عقب على هذه الروايات بقوله: " وفي الأساليب الخطابية المألوفة ما يساعد على هذا التأويل، حيث يشبه بعض الناس بعضهم بالقردة والخنازير، حينما يريدون وصفهم بصفات سيئة، وينسبون إليهم بعض الأخلاق والعادات الوضيعة. وفي ورود كلمة القردة هنا، والخنازير في آية المائدة، والاكتفاء بذكر لعنة أصحاب السبت في آية النساء قرينة على وجاهة التأويل الذي روي عن مجاهد"[٥].

ولم يكتف دروزة في تعليقه عند هذا الحد، بل استخلص من تحايل اليهود على شريعة السبت واعتدائهم على حرمته حكماً فقهياً لخصه بقوله: "إن الله حينما يأمر بواجب، أو ينهى عن محظور، لا يمكن أن يرضى بالحيلة للتخلص مما أمر ونهى"[٦]، وفي ذلك: "رد قاطع ومباشر على الذين يسوِّغون الحيل ويبيحونها، وخاصة في صدد أحكام الدين وأركانه والتفلت من العهود والعقود"[٧].

ويعتقد دروزة أن الغاية من القصص القرآني، ليست

مجرد الإعلام عما حدث من أخبار عن الأمم والشعوب بالتتبع الصادق لأخبارها، وإنما الغاية أن يكون القصص هادياً للمؤمنين إلى الطريق القويم، الذي يتبعون به خطى من سلف من المؤمنين الذين اختاروا الهدى بالله عن علم، ونبذوا الضلالة والإلحاد عن برهان ويقين.

من أجل ذلك تحدث دروزة في مواضع كثيرة من تفسيره عن فائدة القصص، وتلقيناتها، والعبرة منها، وذكر أن في ذلك وجوهاً كثيرة منها: تثبيت العقائد الصحيحة، وتأكيد وحدة المصدر الذي صدرت عنه مبادئ الدعوة وحقائقها ووصاياها، والحض على مكارم الأخلاق والفضائل، وتقبيح الفواحش والآثام،وإنذار الكفار وتذكيرهم بما حل بمن سبقهم من الجاحدين المكذبين، وبالتالي تثبيت الرسول والمؤمنين معه على لزوم الدعوة إلى الحق، وتحمل مشاقها[٨].

ويضيف باحثون آخرون أغراضاً أخرى، تشمل المؤمنين السابقين على ظهور الإسلام وغير المؤمنين، ولعل من أبرز هذه الأغراض: إثبات الوحي والرسالة في مقدمات القصص، أو في أعقابها، كما جاء في أول سورة يوسف، حيث قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[٣: يوسف] "وبيان نعمة الله على أنبيائه عليهم السلام وأصفيائه، نحو ما ورد في قصص سليمان وأيوب وإبراهيم ومريم وعيسى وزكريا عليهم السلام وغيرهم، ومنها أيضاً عرض نماذج من القصص هدفها تصديق التبشير والتحذير الواردين في القرآن الكريم، وإيراد أمثلة من أخبار الأمم السابقة دالة ومؤيدة لفحواهما، فقد جاء في سورة الحجر: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ﴾[٤٩-٥٠: الحجر]، فتصديقاً لهذا وذاك، جاءت قصة لوط في السورة مشيرة إلى الرحمة والنعيم اللذين نالهما نبي الله لوط عليه السلام وإلى العذاب الأليم الذي حلَّ بقومه المكذبين.

وتهدف بعض القصص إضافة إلى ما سبق إلى تعليم الأدب في الحوار والمناقشة مهما غلظ المجرمون الكفار، أو غلظ المعاندون الأشرار، وتصوير الذوق والرقة والتلطف والعطف ليتعلم منها من يريدون أن يعتنقوا الخير، ويتخذون دين الله رائدهم في كل أمر[٩]، وقد تجلَّى هذا المعنى سافراً في قصة موسى عليه السلام؛ إذ أرسله الله سبحانه إلى فرعون بسلطان مبين، ومعه أخوه هارون وزودهما بقوله العظيم وتوجيهه الرشيد الحكيم: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[طه: ٤٣-٤٤].

وهكذا لا تخلو قصة في القرآن الكريم من أهداف وغايات حدَّدها الباريء جلا وعلا، وحث عليها الشرع الحنيف لما تحققه من نفع عاجل وقريب لدعاة الإسلام والمؤمنين به. ومن هنا حرص دروزة على توضيح هذه الأهداف والغايات عند تفسيره للقصص القرآني، فهو يشير في ثنايا تعليقاته على الآيات إلى ما تتخلله القصة القرآنية من عبر وعظات، ففي تعليقه على الآيات (٣٦-٥٧ من سورة يوسف)، ذكر "أن من العبر التي تخللت الحلقة: اهتمام يوسف للتبشير بالله، والحملة على الشرك في داخل السجن،حيث ينطوي في هذا حث على وجوب الدعوة الى الله، ومكارم الأخلاق في كل ظرف ومكان. ومنها اهتمام يوسف "عليه السلام" لتبرئة نفسه، حيث ينطوي في هذا حث على وجوب تبرئة النفس من التهم الكاذبة، وحق الإنسان البريء في ذلك"[١٠].

المبحث الثاني
أهداف القصة القرآنية وغاياتها في رأي دروزة

القصة القرآنية في رأي دروزة "وسيلة من وسائل الإرشاد والإيمان والعظة والتمثيل والتذكير والإلزام والإفحام والتنديد والوعيد والتسلية، وليست عملاً فنياً مقصوداً لذاته أو للسرد التاريخي"[١١]، ونحن نخطيء – كما قال : "اذا تصورنا القرآن كتاباً في التاريخ أو السير أو أساطير الأولين، فعلى ما يزخر به القرآن من إشارات إلى أحداث تاريخية، وقصص أنبياء وتواريخ أمم وشعوب بائدة، فإن ذلك لا يجعله مرجعاً تاريخياً، فليس هناك خطأ أكبر من أن تحاول البحث عن واقعة تاريخية معينة

بكل تفاصيلها وظلالها في القرآن الكريم، أو أن تحاول اتخاذ القرآن مرجعاً تاريخياً لكتابة أحداث التاريخ"(١٢).

ويبدو لي أن دروزة متأثر في موقفه هذا بآراء من سبقه أو عاصره من المفسرين كمحمد عبده، ورشيد رضا وطنطاوي جوهري وغيرهم. فالأستاذ الإمام مثلا يرى: "أن القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والاعتبار، لا لبيان التاريخ"(١٣). ويورد الشيخ طنطاوي جوهري رأياً مشابهاً في سياق تفسيره لقصة ذي القرنين حيث يقول: "إن أنباء القرآن أكبر من التاريخ العام، ومن جميع العلوم، ولن نماري فيها أحداً من المؤرخين. فالقرآن لم يكن للتاريخ، بل للعظة والاعتبار"(١٤).

على أن القارئ لتفسير دروزة يلمح فارقاً جوهرياً بينه وبين أولئك، فهو يهتم بالعبرة والعظة والهدف لا غير، ويرى أن القصص تندرج ضمن الوسائل القرآنية والأساليب التي جاءت وفق ما يألفه العرب ويعرفونه: "فكل ما ورد من قصص الأمم السابقة وأخبارها وأحداثها وأنبيائهم لم يكن غريبا عن السامعين إجمالا؛ سماعاً أو مشاهدة آثار؛ أو اقتباساً وتناقلاً، وسواء منه ما هو موجود في أسفار أهل الكتاب وكتبهم المتداولة مماثلا، أو زائداً، أو ناقصاً، أو مبايناً لما جاء في القرآن، وما لم يكن موجوداً فيها مما يتصل بالأمم والأنبياء الذين وردت أسماؤهم فيها"(١٥). إن دروزة -كما رأينا- يرجح أن القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ وسير؛ "لأن قصصه كانت معروفة ومروية ومتداولة، وأوحى الله بها بالأسلوب والفحوى اللذين أوحيت بها، من أجل تحقيق أهداف العبرة والعظة لا غير"(١٦).

وتركيز دروزة على الجانب الوعظي في القصص القرآني،وإقراره بأن ما كان يشيع في بيئة العرب من هذه القصص يشوبه الخيال، وينأى عن الحقيقة، يوحي للقارئ بأن هناك فارقاً بين الغاية والحقيقة؛ بمعنى أن ثمة تعارضاً ماثلاً في هذه القصص بين ما تورده من أحداث ووقائع، وبين معطيات التاريخ ووقائعه الثابتة(١٧). وهذا ما لم يتصوره أحد من المفسرين الذين ذكرناهم سابقاً أو غيرهم. لقد غاب عن ذهن دروزة ومن نهج نهجه أن كل ما ورد في القرآن الكريم من إشارات تاريخية، وقصص ووقائع حق لا يأتيه الباطل، ولا تثار حوله الظنون، حتى لو لم نعثر على ما يؤيده في سجلات التاريخ المكتوبة.

وهنا لا بد من التفريق بين قصص القرآن وغيره من القصص، ولا سيما القصة التاريخية، فمثل هذه القصص تخلط الخيال بالحقيقة، وتنأى عن الواقع، وتلجأ إلى فنون التصوير والتخييل الذي يلوّن الأحداث بغير ألوانها، بهدف إثارة الانتباه وإلهاب العواطف. أما القصة القرآنية فهي تعتاض عن هذا الخيال بسحر البيان وجمال العرض، وامتلاك ناحية الفن الرفيع، لكنه فن لا يسمح بمجاوزة الصدق فيما يتناوله أياً كان نوعه، فالقرآن كما يوصف بأنه أصدق الحديث في كل ما أخبر به، فهو أصدق الحديث في جميع قصصه:و﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٤: الزخرف] فإذا ورد فيه ما يخالف التاريخ " فإنه- كما قال أحد الباحثين- صادق والتاريخ كاذب في هذه المخالفة؛ لأنه يتناقض وتختلف مصادره ورواياته، أما القرآن- وهو وحي السماء- فلا ينطق إلا صدقاً ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"(١٨). وهنا يمكن أن يكون القرآن مرجعاً تاريخياً وحضارياً لا غنى عنه لفهم أحداث التاريخ، وطبيعة الحضارات القديمة، فهو يزخر بالعشرات إن لم يكن بالمئات من هذه الإشارات التاريخية والحضارية التي هي في حاجة إلى البحث المشترك بين التفسير والتاريخ.

لقد كان المفسر الجزائري عبد الحميد بن باديس(١٩) أكثر توفيقاً، وأقرب إلى جادة الصواب حين قرر هذه الحقيقة التي غابت عن أذهان كثير من المفسرين، فقد أشار هذا المفسر المبدع إلى الأخطاء التي وقع فيها بعض العلماء والمفسرين، ومنهم شيخ المؤرخين ابن خلدون، حين عدّوا الإشارات التاريخية التي وردت في القرآن نوعاً من الأساطير، وتعرضوا لنقضها، وذكر في معرض حديثه عن حضارة إرم ذات العماد: "أن التاريخ المنقول ظلم العرب وبخسهم حقهم، بينما أثبت القرآن

حالها، فكان لنا مصدراً تاريخياً معصوماً"[٢٠]، وأضاف: "أن الأمة الإسلامية لو ائتمرت بأوامر القرآن، لنشأ منها رواد يرودون الجزيرة، ويجوبون مجاهلها، ولو فعلوا لأمكن أن يعثروا على آثار هذه المدينة في أرض عاد، ويجمعوا بين الرؤية البصرية والرؤية العلمية، وبين العلم والاتعاظ"[٢١].

ومع تركيز دروزة على الجانب الوعظي في القصص القرآني، فإنه كان يغفل الإشارة إليه في كثير من القصص، وبخاصة تلك التي تتكرر الإشارة إليها في سور مختلفة، بل إنه لا يتعرض حتى لتفسير الآيات التي ترد فيها مثل هذه القصص. ويكتفي بالإشارة إلى الجديد الذي جاءت به الآيات، والعبرة التي تضمنتها بإيجاز شديد لا يتجاوز ثلاثة أو أربعة أسطر. ففي تعليقه على آيات سورة [الشعراء: ٦٠ -١٧٧] التي تتحدث عن قصة النبي لوط عليه السلام اكتفى بالقول: "إن هذه حلقة سادسة من السلسلة، وقد احتوت قصة لوط عليه السلام وقومه، وقد ذكرت هذه القصة في سور سابقة، والجديد هنا قول لوط عليه السلام لقومه إنه لا يريد منهم أجراً، مما فيه تماثل وعبرة كذلك"[٢٢].

وفي تعليقه على آيات سورة [الأنعام: ٧٤ -٩٠] قال: "وآيات الفصل واضحة المعاني، ولا تحتاج الى أداء بياني آخر، وقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه ذكرت في سورتي الشعراء ومريم بأسلوب آخر فيه بعض الزيادات، ولقد علقنا على القصة بما فيه الكفاية في سياق تفسير السورتين المذكورتين، فلا حاجة للإعادة"[٢٣]. وفي سورة القمر، وردت سلسلة لقصص أقوام نوح وعاد وثمود ولوط وفرعون، ولقد كان تعليقه على هذه السلسلة الطويلة التي بلغت ثلاثاً وثلاثين آية أنه قال: "والبيان القصصي مفهوم، وليس من حاجة إلى شرحه بآداء آخر"[٢٤].

والواقع أن ورود القصة في أكثر من موضع في القرآن لم يأت عبثاً، فالصور والمشاهد التي تبدو مكررة يكمل بعضها بعضاً، وهي في مجموعها تعطي صورة واضحة كاملة مجسمة أو شبه مجسمة للحدث، وأن ما يبدو أنه اختلاف أو تماثل بين المقولات في الواقعة الواحدة أو الحدث الواحد، ليس إلا تجميعاً لمتناثر الأقوال من هذه الواقعة. فالتكرار يؤدي وظيفة حيوية في إبراز جوانب لا يمكن أداؤها على وجه واحد من وجوه التعبير، بل لا بد أن تعاد العبارة مرة ومرة، لكي تحمل كل مرة بعضاً من مشخّصات المشهد، وإن كانت كل عبارة منها تعطي صورة حية للمشهد كله"[٢٥]. فليس في قصص القرآن تكرار مطلق،وإنما فيه تكرار نسبي[٢٦]. بمعنى أن القرآن لا يسوق من القصة إلا ما يتعلق بالغرض الذي سيقت القصة من أجله كي تظل الصلة متينة بينها، وبين المناسبة الداعية إلى ذكرها، بحيث تبعث القصة فيها الأهمية وتمدها بالحركة والحياة، ففي كل قصة مهما تكررت عبرة وإرشاد جديدان، وفي كل سلسلة مهما تعددت مواطن موعظة وتوجيه، توقظ النفوس وتسترعي الأذهان. يقول محمد سعيد رمضان البوطي معلقاً على هذه الفكرة: "وهذا هو القرآن العظيم في قصصه وأحكامه وعقائده وبقية أبحاثه؛ إذ ينتهز الأسلوب التربوي المعجز ظهور أول نافذة يمكن أن تتسلل إليها موعظة عابرة مذكرة، توقظ النفس من ذهول، فيقحم فيها هذه العظة بأسلوب رائع بليغ، وبإخراج جديد يناسب السياق الذي وردت فيه، وتهدف إلى هدف خاص لم يذكر في مكان آخر، حتى لكأننا أمام قصة جديدة لم نسمع بها من قبل"[٢٧].

ولا أريد أن أذهب بالقارئ بعيداً، ولكنني أكتفي بأن أضرب له مثلاً واحداً قصة النبي هود عليه السلام مع قومه عاد التي احتوتها سلسلة الآيات [١٢٣ -١٤٠] من سورة الشعراء، فهذه السلسلة تحدثنا عن (عاد) الذين استكبروا في الأرض بغير الحق، وقالوا من أشد منا قوة؟ وكذبوا صاحبهم (هوداً) عليه السلام، ذلك الرسول الكريم الصابر الذي لم يأل جهداً في دعوة قومه ومحاجتهم، ومناقشتهم بالحسنى،وإنذارهم. فما كان منهم إلا الكفر والعناد، حتى كانت نهايتهم المأساوية بريح سموم تركتهم كأعجاز نخل خاوية.

لقد استرعت مضامين هذه القصة انتباه العديد من

المفسرين فوصفوها بأنها قصة بالغة الروعة، غنية بالتفاصيل، رائعة الدلالة في عصر تطغى فيه المادة، وتغلظ القلوب، ويزداد التكالب على الشهوات. يقول محمد العزب موسى في تعليق له على أحداث هذه القصة: "إنها قصة الضلالة المادية في كل عصر ومكان، وما لم تستفد البشرية من تجاربها، وما لم تفتح بصيرتها لنور الهداية الربانية، فسوف تحل بها النقمة، ولن يغني الناس ما هم فيه من مكنة، وما لهم من سمع وأبصار وأفئدة"(٢٨).

هذه المعاني السامية في قصة عاد لم تجد طريقها إلى تفسير دروزة، ولم يثر انتباهه في أثناء تفسيره لها شئ سو ى: "أنها قد ذكرت في سور سابقة، وأنها قد جاءت هنا مع بعض الاختلاف الأسلوبي الذي اقتضته حكمة التنزيل"(٢٩).

إن ما يظهر من إحجام المفسر عن الخوض في تفصيلات هذه القصص، وتردده في استجلاء معانيها، وبيان مراميها ربما يعزى إلى نظرته العامة حيالها، فهو يدرجها في دائرة المتشابه الذي يعجز عقل الإنسان عن إدراك أسراره، أو ما يحتمل وجوهاً عديدة للتأويل، ويصرح بقوله: "إنها مما استأثر الله بعلمه، فلا يعرف معانيها لا رسول الله ولا الملائكة ولا الراسخون في العلم"(٣٠). ولهذا دعا دروزة "إلى وجوب الوقوف من هذه القصص عند الحد الذي استهدفه القرآن، وعدم الاستغراق في ماهياتها على غير طائل ولا ضرورة"(٣١).

ولكن هل التزم دروزة بما ذهب اليه؟ وهل أحجم فعلا عن الخوض في هذه القصص كونها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله؟، لنقرأ ما كتبه تعليقاً على كلمة (الدابة) في الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[النمل: ٨٢]، قال دروزة: "ومع أننا نرى الوقوف عندما وقف عنده القرآن من أمر الدابة، ونقول: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل عمران: ٧]، فإن الذي يتبادر من روح الآيات أنها بسبيل إثارة الرعب في نفوس جاحدي الساعة السامعين، من الهوان والخزي الذي سوف يلقونه حينما يأزف موعد قيامها، ثم حين يتحقق قيامها، وأن الدابة مما يمكن أن يدخل في هذا القصد، أو يكون وسيلة من وسائله"(٣٢). فأنت تلاحظ أن المفسر قد خاض في المسألة برأيه، وتوسع فيها رغم أنها من المتشابه الذي يعجز عقل الانسان عن إدراك مداه، والأمثلة على هذا الباب كثيرة، وكلها تشير بوضوح إلى خروج دروزة عن أسس المنهج الذي اختطه لنفسه، وعدم التزامه به.

وعندما بعثت إليه مستوضحاً عن حقيقة موقفه من هذه المسألة رد قائلا: "إنه لم يطّلع على رأي لأحد العلماء يقول إن القصص من المحكم، وكل ما اطلع عليه أن القصص من المتشابه"(٣٣). وفاته أن المقصود بالمتشابه في القصص هو المتشابه اللفظي، لا المتشابه الذي يستأثر الله بعلمه(٣٤).

المبحث الثالث
موقف دروزة من الإسرائيليات

وهذا يسلمنا للحديث عن موقف دروزة من القصص والأخبار الإسرائيلية التي حشيت بها بعض كتب التفسير، وتسربت إلى بعضها الآخر. وكانت- وما زالت- مزلقاً خطيراً يؤتى منه المفسرون. وعلى الرغم من حرص دروزة -كما بدا في مقدمة تفسيره- على عدم الوقوع في هذا الخطأ، ونعيه على المفسرين الذين يطلقون لأقلامهم العنان في ذكر القصص والروايات، وبخاصة تلك التي لا تستند إلى دليل، أو التي تتعارض مع المنطق والواقع والسياق، فإن تيار النقل عن الإسرائيليات قد جرفه ضمن من جرف، فضمَّن تفسيره قدراً كبيراً منها، وتساهل في رواية ما دسته أيدي اليهود، وأهل الكتاب والزنادقة، واغتر بنسبة تلك الآثار والمرويات إلى أساطين السلف وأقطاب المفسرين، ولم يعقب على تلك النقول إيذاناً برضاه، أو توقفا عن الحسم فيها برأي.

والأمثلة على هذا الجانب كثيرة في تفسير دروزة، منها حديثه عن خرافة إعجاب النبي داود عليه السلام بزوج

قائده (أوريا)، المنقولة عن سفر صموئيل الثاني، وقد أثبتها دروزة بأكملها، وأسند جزءاً من أحداثها إلى بعض المفسرين، دون أن يفندها، أو يدحض مزاعمها، مع أنها تقدح في عصمة الأنبياء، وتتعارض مع أصول العقيدة، ولم يكتف دروزة بذلك، بل رأيناه يقرر بعد عرضه للقصة، أن ما ذكر في هذا السفر يتسق مع ما جاء في القرآن، فالآيات القرآنية حسب رأيه –وإن كانت خلت من هذه التفاصيل، فإن فيها إشارات خاطفة متسقة معها"[٣٥]. وأضاف دروزة بعد ذلك قائلاً: "لقد أورد المفسرون في سياق هذه الآيات بيانات كثيرة عن داود وملكه وخطيئته وتوبته في بعضها تطابق مع ما جاء في الأسفار، وفي بعضها مباينة له، وفي بعضها إغراب عجيب، مما يؤيد – على كل حال ما قلناه– من معرفة أهل بيئة النبي ﷺ قصص داود، وما كان يضيفه اليهود إليها من حواش، وربما كان عندهم أسفار وقراطيس أخرى فيها تفصيلات وزوائد لم ترد في الأسفار المتداولة اليوم"[٣٦].

وتلك مسألة تستوجب النظر والتوقف عندها، بل ينبغي ألا تؤخذ على علاتها؛ لأنها توحي للقارئ بأن كل ما ورد في القرآن الكريم مثبت في الكتب السماوية السابقة، وأن كل إشارة أو حادثة تتعلق بالقصص لها أصل في التوراة أو الإنجيل، وأرى أن في ذلك غلواً لم يقصد إليه أحد من المفسرين، حتى أولئك الذين تعقبهم دروزة بالنقد، معدداً أخطاءهم وثغرات تفاسير.

ويبدو أن دروزة قد اطمأن في معالجته للقصص القرآني إلى هذا النهج. فها هو ينقل في قصة سليمان ﷺ ما جاء في بعض الأسفار من أن سليمان كان يحكم معظم أرض فلسطين، وبعض أنحاء شرق الأردن، وأن السلم كان مخيماً على بلاده، وأنه كان ملكاً عظيماً ذا أموال طائلة، وأنه منح حكمة فاقت حكمة جميع بني المشرق ومصر، وأنه استكثر من النساء حتى بلغ عدد زوجاته ومحظياته ألفا، وتزوج من بنت فرعون، ومن نساء صيدونيات وعمونيات وآدوميات وحبشيات، فأمعن قلبه إلى آلهتهن، مخالفاً لأوامر الله، وبنى لهذه الآلهة مذابح، وقرب لها قرابين، وعمل الشر في عين الرب[٣٧].

ويرى دروزة أن هذه الأخبار متسقة أيضا مع ما جاء في القرآن الكريم، أما ما تضمنته القصة من تفصيلات لم ترد في الأسفار كتسخير الجن والريح لسليمان، وتفصيل ما كان الجن يصنعونه له من منشآت عظيمة، ومعرفته لغة الطير، وقصة الهدهد الذي طار إلى سبأ، والجسد الذي ألقاه الله على كرسي سليمان، فإنها– على رأيه كانت متداولة في أيدي اليهود، وفقدت من أسفار وقراطيس لم تصل إلينا[٣٨].

المبحث الرابع
قواعد فهم القصة القرآنية عند دروزة

يلاحظ من الشواهد السابقة إصرار دروزة على إخضاع معاني الآيات ومفاهيمها لطريقته، فهو يعرض جميع ما ورد في القرآن الكريم من قصص وأخبار الأمم الماضية وأنبيائها، في ضوء القاعدة التي وضعها لفهم القصص التي تتلخص في أمرين: الأول، إن القصص القرآني لم يكن غريباً عن السامعين إجمالاً سماعاً أو مشاهدة آثار أو اقتباساً وتناقلاً، وسواءً منه ما هو موجود في أسفار أهل الكتاب وكتبهم المتداولة، أو ليس موجوداً فيها مما يتصل بالأمم والأنبياء الذين وردت أسماؤهم فيها مثل: قصص إبراهيم والعبد الصالح مع موسى ومائدة المسيح وقارون عليهم السلام، أو مما يتصل بغيرهم من الأمم والبلاد العربية وأنبيائها، مما لم ترد أسماؤهم فيها مثل: قصص عاد وثمود وسبأ وتبع وشعيب وذي القرنين[٣٩]. والثاني: إن الرسول ﷺ كان يعرف هذه القصص والأخبار والوقائع قبل نزول الوحي عليه، سواء منها المذكور في أسفار التوراة والإنجيل أو غيرها.

ويستدل المؤلف على ما ذهب إليه في النقطة الأولى بأدلة متعددة، فهو يسوق كثيراً من الآيات يخيل لمن يقرؤها لأول وهلة، أن ما يقرره هو الصائب، ولكن مع النظرة المتفحصة إلى محتوى الآيات وسياقها ومناسباتها، لا

يجد القارئ أدنى مناسبة بين ما قرره الكاتب، وبين منطوق الآيات المستشهد بها ومدلولاتها. فأية دلالة يمكن أن تعبر عنها الآية: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [٥: الأنبياء] على علم العرب ومعرفتهم بالقصص قبل نزولها؟ وهل في طلب القوم آية- وهم على ما هم عليه من اضطراب، وسرعة تحول وتشتت أفكار- دليل على معرفتهم بتلك القصص والوقائع؟.

وقد يخيل للقارئ أن في الآية الثانية التي استشهد بها المؤلف وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [١٣٣: طه] إشارة إلى معرفة القوم بما في الكتب المنزلة وإلمامهم بما ورد فيها من قصص وأخبار، غير أن المدقق في معنى الآية ومدلولها يتبين له أن الصحف المذكورة في الآية ليست التوراة أو الإنجيل -كما ظن- بل هي القرآن.

وعلى ذلك فإن الآية دليل على عكس ما ذهب إليه، فهذه الصحف التي نزلت على نبي أمي لا يحسن القراءة والكتابة، ولم يتلق العلم من أحد، قد جاء فيها أخبار من سلف موافقاً أو مخالفاً لما جاء في الكتب السابقة. قال ابن كثير في تفسيره إن الآية تعني: "القرآن الذي أنزل عليه وهو أمي لا يحسن الكتابة، ولم يدارس أهل الكتاب، وقد جاء فيه أخبار الأولين بما كان منهم في سالف الدهور، وبما يوافقه عليه الكتب المتقدمة الصحيحة منها، فإن القرآن مهيمن عليها يصدق الصحيح، ويبين خطأ المكذوب منها وعليها"(٤٠).

ومما يستدل به المؤلف على رأيه: "أن هذه القصص لو لم تكن معروفة عند العرب، ما كان لها هذا التأثير في نفوسهم، وما كان لها الوقع الذي وقعته في قلوبهم؛ لأن الأمر إذا كان معلوماً لدى المرء وقع منه موقع الرضا والاستحسان، أما إذا كان مجهولاً، فإن الكلام فيه لا يكون مستحكم الإلزام والإفحام والتأثير، ولا سيما على مخاطبين كافرين بأصل الدعوة التي يراد التذكير بمواقف الغير والسابقين من مثلها، وبمصائرهم بسبب هذه المواقف"(٤١).

ويكرر دروزة هذه الفكرة في كل موضع تعرَّض فيه لقصة من القصص، وكأنما يحس أنه مبتكر لها، متفرِّد في ذكرها، ومن الأمثلة على ذلك قوله في تفسير الآيات [١٢- ١٤ من سورة ق]: "كما رجَّحنا أن العرب في بيئة النبي ﷺ كانوا يعرفون ويتداولون قصتي هود وصالح وقوميهما، فإننا نرجح أن العرب كانوا يعرفون ويتداولون قصص أصحاب الرس والأيكة وقوم تبع أيضا، وبذلك تستحكم العظة القصصية القرآنية "(٤٢).

وقال في تعليقه على الآية: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [١٤: الرحمن] ونرجح أن السامعين يعترفون بأصلية تراب الإنسان، ونارية الجن، فُذكّروا بما يعرفونه، ليستحكم التنديد بمماراة الممارين منهم"(٤٣).

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن في هذا المقام هو: لم لا يكون الأمر على العكس من ذلك تماما، فتستحكم العبرة والإلزام، ويقع التأثير والإفحام من مخاطبة السامعين بما لا يعرفونه، وما لم يكن لهم به علم مسبق؟. وهل من الدقة في التعبير القول: إن الإنسان إنما يتأثر عندما يخاطب بما يعرفه من المعلومات والصور؟ لا أظن الأمر كذلك؛ إذ لا علاقة بين التأثير على المخاطب، وبين المعلومات المختزنة لديه عن هذا الخطاب.

ويذكر المؤلف في مقدمة تفسيره "أن غالبية معارف العرب ومعلوماتهم التي استقوها من الأمم السابقة خرافات ليس لها أساس تاريخي ثابت"(٤٤). ونجده بعد ذلك يلح على القول بأن تلك المعارف والأخبار قد أوحي بها قرآناً لتحقيق أهداف وغايات معينة، تتمثل في التأثير على السامعين، وإقناعهم من أجل تحقيق إيمانهم وهدايتهم. ففي تعليقه على الآيات [٢٩- ٤٦ من سورة القصص] ذكر "أن البعض قد طعنوا في ذكر هامان كوزير لفرعون، وقالوا إن هامان إنما كان وزيراً لأحشويريش ملك الفرس في القرن الخامس قبل الميلاد، بناء على ما ذكره سفر إستير من أسفار العهد القديم، والذي نرجحه أن وزارة هامان لفرعون كانت هي المتداولة، فذكر القرآن ما هو متداول في معرض الوعظ والتذكير "(٤٥).

وبناء على ذلك، فإن القرآن -حسب ما توحي به

عبارات دروزة قد يحوي قصصاً وأخباراً مشكوكاً في صحتها، لمجرد أنها كانت متداولة في البيئة العربية، أو مثبتة في أسفار الكتابيين الذين كانوا حسب ما قال مصدر كثير من معارف العرب الدينية وغير الدينية(٤٦).

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: "إذا كنا نحن البشر نرفض أن يستخدم أحدنا وسائل غير صحيحة في ذاتها من أجل التأثير والإقناع. فكيف ننسب ذلك إلى الحق –تبارك وتعالى–؟ ونقول إنه – جل شأنه استعمل في القرآن معارف العرب على اختلافها، وبما طرأ عليها من التحريف والتغيير والتبديل من أجل تحقيق أهداف وغايات معينة مثل الهداية والإيمان"(٤٧).

هذا وقد اتخذ دروزة من ترتيب نزول السور في القرآن دليلاً يؤيد به رأيه. ذلك أن كثيراً من القصص القرآني وردت في أوائل السور نزولاً بشكل إجمالي مقتضب، كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾[٤٨: القلم]، "فالاكتفاء بهذه الإشارة الخاطفة إلى قصة يونس، ونعته بصاحب الحوت في هذه السورة المبكرة جداً في النزول دليل قاطع على أن هذه القصة وغيرها من القصص، كانت معروفة عند أهل بيئة النبي ﷺ من المشركين العرب قبل البعثة"(٤٨). ولا اعتقد أن في هذا حجة للمؤلف؛ لأن الإشارات المقتضبة لا تعني أنه كان لدى العرب معرفة إجمالية، "ولكنها على أي حال معرفة غامضة ومشوشة يلفها ضباب أثري لا سبيل معه إلى استجلاء المعالم، ورؤية التفاصيل، فجاء القرآن يفصل ويوضح ويصحح ما طرأ عليها من تحريف وتبديل وزيادة أو نقصان"(٤٩).

وأخيراً يقول المؤلف: إن العرب جادلوا في الحياة الأخروية، ولم يجادلوا في القصص لجهلهم بالأولى ومعرفتهم بالثانية، والحق إن جدال العرب في الحياة الأخروية إنما كان؛ لأن ذلك يصطدم ويتعارض مع معتقدهم، وليس كذلك القصص، فإنه لا يصطدم مع عقيدة(٥٠). ويرد المؤلف على ما يمكن أن يوجه له بأن الكفار قد جادلوا في القصص، ونعتوها في معرض الجدل والحجاج بأساطير الأولين، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٥: الفرقان]، يرد بأن تعبير الأساطير يعني كما تدل عليه مضامين الآيات القرآنية مدونات الأولين وقصصهم إطلاقاً، وليس الخرافات والأكاذيب(٥١).

أما معرفة الرسول عليه الصلاة والسلام بالقصص القرآني قبل نزول الوحي عليه، فيستدل عليه المؤلف بقوله: "إن النبي قد اتصل قبل بعثته بالكتابيين الموجودين في مكة، وتحدث معهم في كثير من الشؤون الدينية، وحول ما ورد في كتبهم المنزلة. وذكر أن في بعض الآيات القرآنية قرينة على ذلك فقد جاء في سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾[١٠٣: النحل]، وجاء في سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾[٤: الفرقان]. فالآيتان – وإن كانتا تنفيان التعليم والإعانة – فإنهما لا تنفيان الاتصال(٥٢).

والواقع أن ما تضمنته الآيتان، إنما هي شُبَهٌ أوقعهم فيها تخبطهم وعنادهم، ولم يقصد بها القصص القرآني، كما أنه لا صلة لها بالواقع كما قال. وقد رد القرآن على الأولى بقوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾[٤: الفرقان]، ورد على الثانية بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[١٠٣: النحل]. وفي ذلك دليل واضح على كذب هؤلاء وافترائهم، وإنكار للقضية من أساسها، فليس هناك تعلم أو تعليم، وليس هناك تلق أو إعانة، بل الأمر بجملته ظلم من أولئك وبهتان، وإصرار على الباطل والكفر.

ولقد شعر دروزة أن في القرآن الكريم آيات تناقض ما ذهب إليه، وترد عليه فكرته ورأيه كقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[٤٤: آل عمران]، وفي سورة هود:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٤٩: هود]. فهذه الآيات تثير لديه – كما قال "إشكالا يدعو إلى الحيرة، ولا يستطاع النفوذ إلى الحكمة الربانية فيه نفوذاً تاماً بسبب أن قصة نوح التي جاءت الآية الأخيرة ختاماً لها، وردت في سفر التكوين. وهذا السفر كان متداولاً في أيدي الكتابيين في بيئة النبي، والعرب كانوا على صلة بهم، ومنهم من كان يدين بالنصرانية أواليهودية، بل منهم من كان يعرف العبرانية، ويقرأ الكتب بها"[٥٣]، فمن الصعب أن يفترض أن لا يكون من العرب السامعين من لا يعرف هذه القصة[٥٤].

وظن دروزة أن هذا الإشكال مما وقع فيه بعض المفسرين، ومن ذلك ما أشار إليه البيضاوي، وعلله باحتمال كون القصد هو عدم معرفة النبي ﷺ وجميع قومه بجميع هذه التفصيلات، وأن هذا لا يمنع أن يكون عرفها بعضهم أو عرف بعضها، وما أشار إليه الخازن، وعلله أيضاً باحتمال كون العلم بها كان مجملاً؛ لأن قصة نوح كانت مُشهرة معروفة[٥٥].

وهو يرى في تعليق هذين المفسرين وجاهة ظاهرة، ولا معدى عنه، أو ما يقاربه، كأن يؤول الغيب في الآية "إلى معنى البعيد غير المشاهد، أو الذي صار في طيات الدهور، ولا يعرف الناس تفصيل أحداثه"[٥٦].

ويبدو لي أن دروزة قد نقب طويلاً في أقوال المفسرين، فلم يجد فيها غير هذين القولين، فتعلق بهما ظناً منه أنهما يدعمان فكرته، ويؤيدان رأيه ومذهبه. وقد ظن أن تلك الآيات قد أثارت لدى هذين المفسرين إشكالا وحيرة دفعتهما إلى التأويل، وصرف الآيات عن حقيقتها، بيد أننا نقول إحقاقا للحق إن عبارة البيضاوي التي ساقها، لا تنهض دليلاً على دعواه؛ لأنها صريحة في نفي أن يكون لدى العرب معرفة تفصيلية بالقصص والأخبار، وتقرير كون هذه المعرفة مبهمة إجمالية. ولو أن دروزة جعل رأيه كذلك لما وقع في مظنة المخالفة والشبهات، ولما عرض نفسه للنقد والاتهام.

أما عبارة الخازن التي استشهد بها، فقد ابتسرها من سياقها واقتطعها منه؛ ذلك أن الخازن في عبارته كان يرد على المتشككين المترددين، ويجيب عن أسئلتهم واستفساراتهم وإليك ما كتبه تفسيراً للآية: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾[٤٩: هود]، قال الخازن: "هذا خطاب للنبي ﷺ يعني أن القصة التي أخبرناك بها يا محمد من قصة نوح وخبر قومه من أنباء الغيب؛ يعني من أخبار الغيب[٥٧] فان قلت إن قصة نوح كانت مشهورة معروفة في العالم. فكيف قال ما تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا؟ قلت: يحتمل أن يكون كانوا يعلمونها مجملة فنزل القرآن بتفصيلها وبيانها، وجواب آخر وهو أنه ﷺ كان أمياً لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها، وكذلك كانت أمته، فصح قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ﴾[٤٩: هود]؛ أي قبل نزول القرآن بها"[٥٨].

فهل في ذلك دليل على صدق ما ذهب إليه دروزة؟، وهل فيه ما يشير الى أن العرب كانوا يعرفون قصص الأولين وأخبارهم، وأن القرآن نزل وفق معارفهم؟! ثم هل هناك من داع لتأويل تلك الآيات الصريحة، وحملها –كما قال "على مقاصد أخرى أسلوبية أو جزئية أو تعميمية"[٥٩]. أظن أن الإجابة واضحة، ولكنني أحب أن آتي بأمثلة مما قاله بعض المفسرين في هذه الآية، ليدرك القارئ عن كثب كيف زجَّ المؤلف نفسه في متاهات ومنزلقات، قد تبعده عن إجماع أهل العلم في مختلف العصور.

قال ابن كثير في ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا﴾[٤٩: هود] "أي؛ لم يكن عندك، ولا عند أحد من قومك علم بها، حتى يقول من يكذبك أنك تعلمتها منه"[٦٠]. وقال النسفي في مدارك التنزيل: "تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك"[٦١]. وذكر أحد المفسرين المعاصرين "أن الخطاب هنا للنبي ﷺ وأنباء الغيب المشار إليها هي ما ذكره القرآن من قصة نوح، وهي من أنباء الغيب التي غاب عن النبي، وعن قومه العلم بها"[٦٢]. وأكد مفسر

آخر من المعاصرين أيضا هذه الحقيقة حيث قال: "إن هذا القصص غيب من الغيب ما كان يعلمه النبي، وما كان معلوماً لقومه، ولا متداولاً في محيطه، إنما هو الوحي من لدن حكيم خبير"(٦٣).

ومن الجدير بالذكر أن دروزة أغفل كثيراً من الآيات التي تؤكد أن القصص القرآني حق لا شبهة فيه، ولا مجال للمكابرة في صدق ما احتواه من أخبار ومعلومات منها قوله تعالى في نبأ أهل الكهف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾[١٣: الكهف]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٧٦: النمل]، وفي سورة يوسف ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[٣: يوسف]. والعجيب أنه علق على هذه الآية بقوله: "قد يكون في هذه الآية دليل مضاد لرأينا، ولكن الأمر من حيث الواقع، ووجود هذه القصص في الكتب السابقة، يفرض علينا تأويل الآية بأنه عليه الصلاة والسلام غافل عن الوحي، أو الصلة بالله، أو عن أمور هذه القصص"(٦٤). فهو يلجأ الى التأويل لمجرد أن هذه القصة موجودة في الكتب السابقة، وهو يعلم يقيناً أن وجود قصص القرآن في تلك الكتب لا يضعف حجته، بل هي -كما قال كثير من العلماء- من أكبر الأدلة على نبوة محمد ﷺ وصدق رسالته؛ لأنه أمي لم يذهب إلى معلم، ولم يفارق وطنه ليتلقّى تعليماً من أحد(٦٥). وهو متيقن كذلك بأن ما يسمّى بالكتاب المقدس سواء في ذلك العهد القديم المحتوي على كتب اليهود، أم العهد الجديد المحتوي على أناجيل النصارى، ليس هو الذي نزل من عند الله، وجميع ما في هذه الكتب لا تحوي إلا ما حفظته ذاكرة تلامذة المسيح وتلامذتهم بعد قرن تقريباً من وفاة المسيح، ثم خلطت به حكايات كثيرة وأساطير، بحيث أصبح من غير الجائز أن يطلب عند تلك الكتب جميعها يقين في أمر من الأمور(٦٦).

وبعد فربما أمكن القول إن دروزة، بإلحاحه على هذه الفكرة، ولجوئه في أحيان كثيرة إلى التكلف والإغراب في تفسير النص من حيث تحميله ما لا يحتمل، أو تأويله تأويلاً تلفيقياً، ظن أنه المخرج لكل ما هو مشكل في قصص القرآن، قد فتح الباب على مصراعيه أمام أصحاب القلوب المريضة، وجعل من تفسيره لآيات القصص معبراً للمشكّكين وتكأة للحاقدين المغرضين.

ويبدو أن بعض الكتاب(٦٧) قد نبهه إلى خطورة ما أقدم عليه، ولكنه لم يقتنع بدعوى أن هذه حقائق أصبحت معروفة للجميع، وأن المبشرين والملحدين لا يجهلون ما ورد في كتب التفسير والسيرة، ولا يفوتهم ما ورد في القرآن من إشارات(٦٨).

والحق أن الأمر ليس كما ظن، بدليل أن بعض المبشرين استغلوا أقواله في صلة القصص القرآني بالكتب السابقة، واستشهدوا بها لإثبات مزاعمهم: "بأن محمداً تأثر بالنصارى واليهود، ووضع أسس هذا الدين الذي جاء مصدقاً لما في كتب أهل الكتاب، مع تطويره بما يناسب الحياة والبيئة العربية"(٦٩).

وهذا ما يزعمه بعض المستشرقين أيضا، ومنهم المستشرق اليهودي (جولد تسيهر) الذي يقول: "إن ما بشر به النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية، وغيرها التي تأثر بها تأثراً عميقاً"(٧٠).

ولا شك في أن دروزة متأثر إلى حد بعيد بأقوال هؤلاء المستشرقين، ويبدو هذا التأثر واضحاً في افتراضه بأنه كان لدى العرب كتب وصحف ورقوق دونت فيها الأخبار والقصص والمعارف التاريخية، ولم يقتصر تناقلها على الألسنة والصدور(٧١). فهو يؤيد أولئك المستشرقين في أن معارف أهل الكتاب وعلومهم ومعتقداتهم كانت منتشرة في البيئة العربية، وكان لها تأثير كبير على المعارف والمداولات العربية(٧٢).

ولحسن الحظ فقد وجد من بين العلماء والباحثين المحدثين من تحمل عبء الرد على هذه المزاعم والأباطيل، ونفيها من أساسها، مستخدمين في ذلك أسساً جديدة في

البحث والمقارنة. ومن هؤلاء المفكر الجزائري مالك ابن نبي الذي عقد فصلاً مقارناً لقصة يوسف بيَّن ما جاء حولها في القرآن الكريم، وما ورد في كتب أهل الكتاب، وبين في جدول خاص أوجه التشابه والاختلاف في عرض القصة ومضمونها، وخلص من ذلك إلى التأكيد بأن افتراض التشابه والتطابق بقصد التأثير، بعيد كل البعد عن الواقع القرآني، والواقع التاريخي[٧٣].

ومع أن الكاتب يعترف بأن صلة ما، لا تزال واضحة بين رواية القرآن والرواية الكتابية، وهي الصلة التي أوحت بالنقد المعترض في العصور المختلفة، فإنه تولى الرد على ذلك بعناية ودقة، مؤكداً عدم وجود أي تأثير يهودي أو مسيحي في الوسط الجاهلي بدليل: "أن جميع الأبحاث التي توجهت للكشف عن هذا التأثير في البيئة العربية قبل الإسلام لم تأت بنتيجة إيجابية"[٧٤]. فالأبحاث التي قام بها الآباء اليسوعيون في مستهل هذا القرن عن شعراء النصرانية في العصر الجاهلي أثمرت عن محصول أدبي عظيم، ولكنها لم تحقق في نهاية المطاف الغاية التي يريدها هؤلاء، بل برهنت على عكسها تماما؛ إذ لم يثبت أنه كان بمكة أو ضواحيها أي مركز ثقافي ديني ليقوم بنشر فكرة الكتاب المقدس التي عبر عنها القرآن[٧٥]. ومن ناحية أخرى، فإن هناك حدثاً مؤكداً فيما يتصل بالعهد الجديد "الإنجيل"، وهو أنه حتى القرن الرابع الهجري لم تكن قد وضعت له ترجمة عربية. ذكر المطران شدياق أن أول نص مسيحي ترجم إلى العربية كان مخطوطاً بمكتبة القديس بطرسبرج، كتب حوالي ١٠٦٠م بيد رجل يدعى ابن العسال[٧٦]، وعلى ذلك "فلا شيء أقل احتمالاً من وجود تأثير توحيدي في البيئة العربية الجاهلية، لانعدام المصادر اليهودية المسيحية المكتوبة فيها، بحيث يصبح من المستحيل أن نقول بإمكان حدوث (امتصاص لا شعوري) للذات المحمدية في هذا الوسط الجاهلي"[٧٧].

وقد عرض الشيخ محمود شلتوت لمسألة التأثير هذه في تفسيره، وفنَّد مزاعم الذين قالوا إن القرآن حدث القوم بما يتناقلون من معارف مأثورة،وإن لم يكن لها واقع صحيح، فبين أخطارها ونتائجها السيئة حيث قال: "وهذه آراء لها نتائج سيئة تذهب بقدسية القرآن من النفوس، وتزيل عنه روعة الحق، وتزلزل قضاياه في كل ما تناوله من عقائد وتشريع وأخبار ماضية وأحوال مستقبلية، وتفتح لكل إنسان أن يقول في هذا ليس له من مدلول ولا واقع يدل عليه، وإنما هو: إما مجاراة لخطأ، أو تمثيل سيق لمجرد بعث الرغبة أو الرهبة أو العظة وتقويم النفوس وإصلاح المجتمعات، ولا يلزم أن يكون لما سيق لهذا الغرض واقع صحيح ينطبق عليه[٧٨].

وكذلك أكد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (من روائع القرآن)، أن ما جاء به القرآن الكريم من أخبار الأمم، كان شيئاً يجهله العرب جهلاً تاماً، وكان يعلم بعضه أهل الكتاب الذين كانوا يعيشون في بيئات دينية مغلقة على نفسها. وذكر في موضع آخر أن التاريخ ورجاله يؤكدون أن رسول الله لم يقصد أحداً من علماء اليهود أو النصرانية ليسمع منهم أخبار الأنبياء السابقين، ولو فعل ذلك لما كتمه عن الناس ولا موه عليهم. وكان أهل الكتاب ضنينين بما عندهم، ولا يبوحون بما لديهم من معلومات لغيرهم بأي شكل كان ولأي سبب[٧٩].

وقد جاءت أقوال البوطي هذه رداً على مقال ورد في كتاب الأدب العربي الحديث من مقررات طلاب البكالوريا الأدبية في سوريا وجاء فيه: "إن مكتبتنا العربية تتدفق بعباب زاخر من قصص وأحاديث ومحاورات وأسمار وخرافات يتجلى له وجه المجتمع العربي، وتتوضح فيها سماته، وتختلج روحه وحيويته. فالقرآن الكريم أشار إلى كثير من القصص إشارات خاطفة ليبين مواضع العبرة منها. ولا شك في أن إشارات القرآن الكريم إلى هذه القصص دليل على أنها كانت من القصص الشعبي السائر الذي يتداوله الناس في جزيرة العرب[٨٠]. ويبدو أن صاحب المقال تأثر فيما ساقه من آراء بالأستاذ دروزة الذي كانت مقالاته تنشر تباعا في الصحف المحلية والمجلات السورية، وبخاصة المجلة التي يصدرها اتحاد المعلمين في سوريا.

ومن المفارقات العجيبة في هذه المسألة أن الأستاذ دروزة تصدى هو أيضا لرد مزاعم المستشرقين وتفنيد مفترياتهم، ولكن على طريقته الخاصة، فها هو ذا في تعليقه على الآية:﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾[الفرقان:٤] يقول: "إن المستشرقين اتكؤوا على المباينة بين ما جاء في القرآن في الظاهر لما هو معروف اليوم من وقائع التاريخ القديم، فقالوا: إنه ملفق من الحكايات المتداولة المشوبة بالخيال والتحريف، متجاهلين أن ذلك من الشؤون الوسائلية التي لا تمس جوهر الرسالة العلوي الروحاني،ولا تخلُّ بمدى الوحي القرآني في حال، وأن القرآن في قصصه لا يهدف إلى تأريخ الأحداث والوقائع لذاتها،وا ٕنما إلى العبرة والموعظة والتذكير والتمثيل، وأن هذا الهدف يتحقق إذا كانت القصص معروفة عند السامعين"(٨١)، فهو – إذاً– لا يعترض على ادعاء المستشرقين بأن قصص القرآن ملفقة من الحكايات المشوبة بالخيال والتحريف، ولكنه يعترض فقط على جهلهم كون تلك الحكايات والقصص من الوسائل التدعيمية التي لا تمس جوهر الرسالة، أو تخل بمبادئها الأساسية(٨٢) وهو ما سبق لمحمد أحمد خلف الله أن تبناه باعتباره عنصراً رئيساً من عناصر نظريته في القصص القرآني.

ويمضي دروزة في دفاعه قائلا: "إن أولئك المستشرقين اتكأوا على ما بين القرآن والأسفار من مباينة في الوقائع فقالوا: إنه محرف مع أنه لا يستطيع أحد أن ينفي احتمال ورود ما ورد في القرآن في أسفار وقراطيس أخرى كانت موجودة في زمن النبي ﷺ ثم ضاعت"(٨٣).

الخاتمة:

وبعد، فقد تبين مما سبق عرضه من مواقف لدروزة حيال القصص القرآني تركيزه الشديد، وا ٕلحاحه المستمر على فكرة التشابه بين ما ورد في القرآن، وبين ما ورد في غيره من الكتب السماوية، وأن القرآن لم يأت بشيء جديد في هذا المجال، لأن القصص والأخبار التي وردت فيه كانت شائعة ومتداولة في بيئة العرب وتتناقلها الألسنة، ولا سيما ألسنة أهل الكتاب الذين كانوا يعيشون في الجزيرة العربية قبل نزول القرآن، وفي فترة نزوله. إنه لمن المؤسف حقا أن يحقق الأستاذ دروزةبردوده المائعة تلك كثيراً من أغراض المستشرقين وأهدافهم، فهؤلاء لا يبتغون في الواقع غير إثبات المباينة بين القرآن والتاريخ، أو بمعنى أدق إبراز الاختلاف بين الشريعة والواقع، تمهيداً لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية، والتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية. وها هو ذا مفسرنا يحقق لهم هذا الهدف من خلال ردوده وآرائه التي حاد في مجملها عن النهج القويم كما رأينا.

لقد كان حريا بدروزة، وهو الذي كتب تفسيره خصيصاً للناشئة، أن يجعل من القصة القرآنية وسيلة تربوية هادفة يجد فيها الشباب المسلم فوق المتعة ما يزيد إيمانه، ويثبت عزمه، ويزيد ثقافته، ويدفعه إلى الأمام مستزيداً من العلم والتقوى، ومتعمقا في تاريخ أمتنا المجيدة وأقطابها في العلم والتقوى والهدى والصلاح.

الهوامش:

---

(١) الأستاذ محمد عزة دروزة، مفكر ومؤرخ ومناضل قومي، ولد في مدينة نابلس عام ١٨٨٧م، وتوفي منفياً في مدينة دمشق عام ١٩٨٤م. تلّقى تعليمه الابتدائي في مدارس نابلس، وأكمل دراسته الثانوية في المدرسة الرشيدية في القدس. وشغل بعد تخرجه وظائف عدة حيث عمل في فترة العهد العثماني في دائرة البرق والبريد، وأتاحت له هذه الوظيفة فرصة تثقيف نفسه ذاتياً، حيث كان على اطلاع مستمر على ما ينشر من كتب ومجلات في فلسطين والوطن العربي، ثم عمل في فترة الانتداب البريطاني في سلك التعليم، فتولى إدارة مدرسة النجاح الوطنية ومنها نُقل ليعمل مأموراً لأوقاف نابلس، ومن ثم مديراً عاماً للأوقاف الإسلامية في فلسطين، وظل في وظيفته حتى عام ١٩٣٦م حيث عزلته السلطات البريطانية لمشاركته في تلك الثورة، وأصدرت قراراً بإبعاده عن الوطن حيث أقام في دمشق وشارك في تأسيس حركة القوميين العرب مما أثار

حفيظة السلطات الفرنسية فأصدرت قراراً بسجنه ومن ثم نفيه إلى تركيا. اشتغل دروزة بالتأليف حيث أصدر في حياته ما يربو على الخمسين مؤلفاً في الأدب والتاريخ والفكر الإسلامي، وتعد كتبه حول القضية الفلسطينية مراجع لا يستغنى عنها لأنه كان شاهداً على أحداثها. وقد ألف تفسيره الحديث للقرآن الكريم في فترة وجوده في تركيا ونهج فيه نهجاً جديداً حيث فسَّر السور القرآنية مرتبة حسب نزولها وهو نهج لم يلجأ إليه أحد سواه.

(٢) انظر، محمد عزة دروزة، **التفسير الحديث**، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٢م، ج١، ص ١٩٥، ج٢، ص ١٨٤، ٢٠٠، ٢١٩، ٢٢٧.

(٣) انظر، **المصدر نفسه**، ج ١، ص٢٥٢.

(٤) **نفسه**، ج ٢، ص ١٧٧.

(٥) **نفسه**، والصفحة نفسها.

(٦) **نفسه**، والصفحة نفسها.

(٧) **نفسه**، والصفحة نفسها.

(٨) انظر، **المصدر نفسه**، ج١، ص ٦٥، ج٢، ص ٤٦+ ١٤٨.

(٩) انظر تفصيلاً لهذه الأهداف والغايات في: محمود السيد حسن، **الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية**، الإسكندرية، مؤسسات شباب الجامعة، ١٩٨١، ص٦١- ٧٢. السيد عبد الحافظ عبد ربه، **بحوث في قصص القرآن**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢، ص٨٥- ١٢١، د. وهبة الزحيلي، **القصة القرآنية، هداية وبيان**، دمشق، بيروت، دار الخير، ١٩٨٨م، (ط٢)، ص٧ وما بعدها.

(١٠) محمد عزة دروزة، **التفسير الحديث**، ج٤، ص ١٢٢. ويلاحظ أن المفسر استخدم في النص مصطلح (التبشير) وكان حرياً به أن يستخدم مصطلحاً آخر مثل الدعوة مثلاً؛ لأن من الضروري التمييز في الاستخدام بين المصطلحات الإسلامية والمصطلحات الشائعة في الأديان الأخرى.

(١١) محمد عزة دروزة، **القرآن والملحدون**، دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٧٣، ص: ٤٨+ ١٥٣.

(١٢) نفسه، ص: ١٦٥.

(١٣) محمد رشيد رضا (توفي، ١٣٥٤هـ)، **تفسير القرآن الحكيم**، تفسير المنار، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ج١، ص٣٩٩.

(١٤) طنطاوي جوهري، **تفسير الجواهر**، القاهرة، البابي الحلبي، (١٣٤٣هـ)، ج٩، ص١٩٩.

(١٥) دروزة، **القرآن والملحدون**، دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٧٣م، ص ١٤٨. وانظر: **القرآن المجيد**، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٥٢م، ص١٦٦.

(١٦) انظر، دروزة، **القرآن المجيد**، ص١٦٧.

(١٧) تبدو هذه الفكرة متطابقة مع ما ذهب إليه محمد أحمد خلف الله في كتابه الفن القصصي في القرآن الكريم انظر، محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، د. ت، ص٢٢٥.

(١٨) السيد عبد الحافظ عبد ربه، **بحوث في قصص القرآن**، مرجع سابق، ص٢٢١.

(١٩) ولد الشيخ عبد الحميد بن باديس في مدينة قسطنطينة الجزائرية يوم ١٠/ ربيع الثاني/ وفق ١٩٨٩/١٢/٤م. وهو من أسرة عريقة ترتد بأصولها إلى الأمير الصنهاجي المعز بن باديس. تلقى ابن باديس تعليماً شرعياً في الكتاتيب على أيدي لجنة من علماء قسنطينة، وحفظ القرآن الكريم، ولمَّا يبلغ الثامنة عشر من عمره، وقضى شطراً من حياته في جامعة الزيتونة يتلقى العلم على أيدي مشايخها وأعلامها، ومن ثمَّ ذهب إلى مكة المكرمة مجاوراً، ومكث فيها فترة يجالس العلماء والفقهاء، ثم عاد إلى الجزائر ليباشر التعليم الشرعي في الجامع الأخضر بقسنطينة. أسس مع مجموعة من العلماء الجزائريين جمعية العلماء المسلمين، وعيِّن رئيساً لها، وكان لهذه الجمعية دور بارز في النهضة الدينية والثقافية فيالجزائر، كما كان لها دور مشرِّف في مقاومة المحتل الفرنسي والتصدي لمخططاته. ويعد ابن باديس كما وصفه زميله الشيخ البشير الإبراهيمي باني النهضتين الفكرية والعلمية في الجزائر، فقد كان مصلحاً فذاً، وإماماً مستنيراً، ومفسراً ضليعاً للقرآن الكريم، بل كان في طليعة من غرسوا بذور الوطنية الصحيحة في نفوس الجزائريين،

ومن الرواد الذين أشعلوا جذوتها في وقت ظن الفرنسيون أن مشروعهمن فر ْنَسة الجزائر واعتبارها جزءاً من فرنسا قد اكتمل، ولن يقف في طريقه كائن من كان. غير أن تعاليم ابن باديس ومواقفه ونضاله المستمر أثمر في نهاية المطاف بقيام الثورة الجزائرية التي أفضت إلى استقلال الجزائر بعد احتلال دامٍ استمر قرابة مائة وثلاثين عاماً. وعرف الشعب قيمة ما قدمه ابن باديس فكرَّمه، وجعل منه رمزاً حياً ومتجدداً تحتفي به الجزائر كل عام وأصبح ضريحه في حي الشهداء في قسنطينة الذي وفق فيه عام ١٩٤٠م مزاراً يؤمه المحبّون والأوفياء تقديراً لعطائه وإجلالاً لتضحياته.

(٢٠) عبد الحميد بن باديس، **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، بيروت، دار الفكر، ١٩٧١، ص: ٦٧٤.

(٢١) **نفسه**، ص٦٧٧.

(٢٢) دروزة، **التفسير الحديث**، ج٣، ص١٣١.

(٢٣) **نفسه**، ج٤، ص١٨٦.

(٢٤) **نفسه**، ج ٢، ص٦٥.

(٢٥) عبد الكريم الخطيب، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، القاهرة: دار الفكر العربي، ص٦٨.

(٢٦) لمزيد من التفاصيل حول أهداف التكرار في القصص القرآني وأسراره انظر، السيد عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القرآن، ص٤٩ ‐ ٨٣. ومحمود السيد حسن مصطفى، **الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية**، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨١، ص١١+ ١٥٤.

(٢٧) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، **منهج تربوي فريد في القرآن**، بيروت: مكتبة الفارابي، د. ت، ص٦٢.

(٢٨) محمد العزب موسى، **دراسات إسلامية في التفسير والتاريخ**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠، ص٣٧.

(٢٩) دروزة، **التفسير الحديث**، ج٣، ص١٢٩.

(٣٠) دروزة، **القرآن والملحدون**، ص١٥٢.

(٣١) دروزة، **القرآن المجيد**، ص١٨٤.

(٣٢) دروزة، **التفسير الحديث**، ج٣، ص١٧٢.

(٣٣) دروزة، رسالة خطية إلى الباحث، ١٩٨٠/١٢/٣٠م، أربع صفحات.

(٣٤) انظر، فريد مصطفى، **محمد عزة دروزة وجهوده في التفسير**، رسالة دكتوراه مخطوطة في جامعة الأزهر، ١٩٨٣، ص١٢٧.

(٣٥) دروزة، **التفسير الحديث**، ج ٢، ص٧٦.

(٣٦) **نفسه**، ج٢، ص٧٧.

(٣٧) انظر، **المصدر نفسه**، ج٢، ص٨٤ ‐ ٨٥.

(٣٨) انظر، المصدر **نفسه**، والصفحة نفسها.

(٣٩) دروزة، **القرآن والملحدون**، ص، ١٤٨. وانظر: دروزة، **القرآن المجيد**، ص١٦٦.

(٤٠) عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير (توفي: ٧٧٤هـ(**تفسير القرآن العظيم**، تفسير ابن كثير، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١، ج٣، ص١٧١.

(٤١) دروزة، **القرآن المجيد**، ص١٦٨.

(٤٢) دروزة، **التفسير الحديث**، ج٢، ص٣٣.

(٤٣) **نفسه**، ج ٧، ص١٣٣.

(٤٤) دروزة، **القرآن المجيد**، ص١٧٤. وانظر: **التفسير الحديث**، ص٥٤٣.

(٤٥) دروزة، **التفسير الحديث**، ج٣، ص١٨٥.

(٤٦) انظر، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٠٢.

(٤٧) فريد مصطفى، **مرجع سابق**، ص٢٣٨.

(٤٨) دروزة، **القرآن والملحدون**، ص١٥٠.

(٤٩) فضل عباس، **اتجاهات التفسير في مصر وبلاد الشام في العصر الحديث**، رسالة دكتوراة، جامعة الأزهر الشريف، ص٥٤٣.

(٥٠) انظر، دروزة، **القرآن المجيد**، ص١٧٨، ١٩٧.

(٥١) من الثابت أنه لم يكن في عصر البعثة النبوية من يعرف القراءة والكتابة بالعربية سوى ثمانية كتاب، ولا شك في أن من يعرف الكتابة بالعبرانية أقل من ذلك بكثير، انظر: دروزة، القرآن المجيد، ص١٧٤، ١٧٩.

(٥٢) انظر: **المرجع نفسه**، ص١٨١.

(٥٣) دروزة، **التفسير الحديث**، ج٤، ص٧٣.

(٥٤) انظر: **المصدر نفسه**، والصفحة نفسها.

(٥٥) انظر: **المصدر نفسه**، والصفحة نفسها وانظر: دروزة،

القرآن المجيد، ص١٧١. علاء الدين، علي بن محمد ابن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م، ج٣، ص٢٣٦.

(٥٦) دروزة، **القرآن المجيد**، ص١٧١.

(٥٧) الخازن، **التفسير**، ج٣، ص٣٣٦.

(٥٨) **نفسه**، والصفحة نفسها.

(٥٩) دروزة، **القرآن المجيد**، ص ١٧١، ١٨٣.

(٦٠) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٤٥٠.

(٦١) عبدالله بن أحمد بن محمود أبو البركات حافظ الدين النسفي، (توفي سنة ٧٠١هـ، ١٢٨٠م)، **تفسير القرآن الجليل المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، بيروت: دار المعرفة، د. ت، ج٢، ص٣٢٦.

(٦٢) عبد الكريم الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج١٢، ص١١٥١.

(٦٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، عمان، دار الشروق ١٩٨٧م، (ط١٤)، ج٤، ص١٨٨٠.

(٦٤) دروزة، **القرآن والملحدون**، ص١٦٤.

(٦٥) انظر: أبو اسحق النيسابوري الثعالبي، **عروس المجالس**، القاهرة: عيسى البابي الحلبي، د. ت، (ط٣) ص٢. ومحمد بن علي بن محمد الشوكاني، (توفي، ١٢٥٠هـ(، **فتح القدير**، بيروت: دار الفكر، د. ت، ج٤، ص٢٠٧.

(٦٦) انظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص١٨٨١.

(٦٧) منهم الدكتور محمد أديب الصالح، الأستاذ في كلية الشريعة الإسلامية بدمشق، ورئيس تحرير مجلة حضارة الإسلام سابقا، وقد أشار دروزة إلى ذلك في: **القرآن والملحدون** ص١٥٤+ ١٥٥ وما بعدهما.

(٦٨) انظر: دروزة، **القرآن والملحدون**، ص١٥٥.

(٦٩) انظر: التهامي نفرة، **سيكولوجية القصة**، تونس: الوكالة التونسية للنشر والتوزيع، د. ت، ص١٤٩.

(٧٠) أجنتس جولد تسيهر، **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٥٩، (ط٢)، ص١٥.

(٧١) انظر، دروزة، **عصر النبي**، ص٤٦٨.

(٧٢) فريد مصطفى، **مرجع سابق**، ص٢٣٩.

(٧٣) انظر: مالك بن نبي، **الظاهرة القرآنية**، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، ١٩٨١، ص٩٩+ ٢٤٧.

(٧٤) **نفسه**، ص٢٤٤.

(٧٥) انظر: **المرجع نفسه**، ص٢٤٦.

(٧٦) انظر: **المرجع نفسه**، ص٢٤٧.

(٧٧) **نفسه**، ص٢٤٧.

(٧٨) انظر: الشيخ محمود شلتوت، **تفسير القرآن الكريم**، القاهرة، دار القلم، د، ت، ص٢٧٣.

(٧٩) انظر: محمد سعيد رمضان البوطي، **من روائع القرآن**، دمشق، مكتبة الفارابي، ١٩٧٧، ص: ٢٤٧.

(٨٠) انظر: **الأدب العربي الحديث**، مقرر البكالوريا بسوريا، ص٣٠٢.

(٨١) دروزة، **التفسير الحديث**، ج٢، ٢: ٢٤١.

(٨٢) انظر: **المصدر نفسه**، ٢: ٢٤٠.

(٨٣) نفسه ٢: ٢٤١، وانظر: دروزة، **القرآن والمبشرون**، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٧٩، (ط٣)، ص٤١.